وسلامة ما ولذلك لم يخل الله خلقه منذ فطرهم عقلا من تكليف شرعي واعتقاد
ديني يتقادون لحكمه فلا تختلف بهم الاراء ويستسلمون لامره فلا تفترق
فيهم الاهواء وانما اختلف العلماء في العقل والشرع هل جاء مجيبا واحدا او يسبق العقل
ثم تبعه الشرع فقالت طايفة جاء العقل والشرع معا مجيبا واحدا لم يسبق احدهما صاحبه
وقالت طايفة اخرى بل سبق العقل الشرع لان بكمال العقل يستدل
على صحة الشرع وقد قال الله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى وذلك
لا يوجد منه الا عند كمال عقله فثبت ان الدين من اقوى القواعد في صلاح
الدنيا وهو الفرد الاوحد في صلاح الاخرة وما كان به صلاح الدنيا والاخرة فحقيق
بالعاقل ان يكون به متمسكا وعليه محافظا وقد قال بعض الحكماء الادب
ادبان ادب شريعة وادب سياسية فادب الشريعة ما ادى الفرض وادب
السياسة ما عمر الارض وكلاهما يرجع في العرف الى العدل الذي به سلامة السلطان
وعمارة البلدان لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره
وقال سعيد بن حميد ما صحت بلد بنافعة حتى يصح الدين والخلق
واما القاعدة الثانية في سلطان قاهر تالفه برهبته الاهواء المختلفة فتجتمع
بهيبته القلوب المتفرقة وتتكف بسطوته الايدي المتغالبة وتنقمع من حوفه
النفوس المتعادية لان في طباع الناس من حب الغالبة على ما اثروه والقهر لمن عاندوه
ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد اوضح المتنبي ذلك حيث يقول شعرا
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من احد اربعة اشياء اما عقل زاجر او دين جامع
او سلطان رادع او عجز صادع واذا تاملتها لم تجد لها خامسا يقترن بها ورهبة السلطان
ابلغها لان العقل والدين ربما كانا مضعوفين او بدواعي الهوى مغلوبين فتكون
رهبة السلطان اشد زجرا واقوى ردعا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال السلطان ظل الله في الارض ياوي اليه كل مظلوم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله ليزع بالسلطان اكثر مما يزع بالقران وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان لله حراسا في السماء وحراسا في الارض فحراسه في السماء الملايكة وحراسه في الارض
الذين يقضون امر اقوام يذبون عن الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار
وقال عبد الله بن مسعود السلطان يفسد وما يصلح الله به اكثر فان عدل
فله الاجر وعليكم الشكر وان جار فعليه الوزر وعليكم الصبر وروى ابو هريرة
قال سبت الحمى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك وقال لا تسبوها
فانها تعرت بلاد الله فعاش فيها عباد الله وقال بعض البلغاء السلطان في
نفسه امام متبوع وفي سيرته دين مشروع فان ظلم لم يعدل احد في حكم وان عدل
لم يجسر احد على ظلم وقال بعض الحكماء ان اوكد الدعوات من الاجابة دعوة السلطان
العدل الصالح واولى الحسنات بالاجر والثواب امره ونهيه في وجوه المصالح
فهذه اثار السلطان في احوال الدنيا وما ينتظم به امور هاتم لما في السلطان من
حراسة الدين والذب عنه ومنع الاهواء منه وحراسة التبديل فيه وزجر
من شرد منه بارتداد او بغي فيه بعناد او سعى فيه بفساد وهذه امور ان لم
تنحسم عن الدين بسلطان قوي من رعاية واقية اسرع فيه تبديل ذوي الاهواء
وتحريف ذوي الاراء فيفسد دين زال عن سلطانه الا تبدلت احكامه وطمست
اعلامه وكان لكل زعيم فيه بدعة ولكل عصر فيه وهاية اثر كما ان السلطان
ان لم يكن عن دين يجتمع به القلوب حتى ترى اهله الطاعة فيه فرضا والتناصر
عليه حتما لم يكن للسلطان لبث ولا لايامه صفو وكان سلطان قهر ومفسد دهر
ومن هذين الوجهين وجب قامة امام يكون سلطان الوقت وزعيم الامة ليكون
الدين محروسا بسلطانه والسلطان جاريا على سنن الدين واحكامه وقد قال
عبد الله بن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى واختلف الناس